كان آن رجوعي اتيتُ لأفتقد الكرم اذ رأيتُ فيهِ آثار اسدٍ عظيم من داخل الباب فارتعدت فرائصي وفزعتُ فرجعتُ الى ورائي خوفاً من الاسد لئلا يهلكني فمن ذلك اليوم ما بقيتُ اجسر (١٤٢) ان ادخل الى الكرم غير اني لم أتهاون في كرامته كما يليق لهُ

فلمَّا سمع سليمان ما اتى بهِ يشوع من الخطاب علم انهُ رأى شيئاً من آثاره وانهُ لم يدخل هناك غيرهُ فالتفت اليهِ وقال له : بحقٍ تكلَّمتَ يا ابن سيراخ انَّ الاسد دخل الى الكرم ولكن اسمع حتى اكلمك يا يشوع . حيٌّ هو الربّ اله اسرائيل اله ابرهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون الرب العظيم وحدهُ الذي لا اله غيرهُ الذي يعلم الضمائر والاسرار المطلع علينا هو الآن العالم بما كان وما يكون السامع بما أقسمُ بهِ انَّ الاسد ما قصد ولم يكن منهُ شيءٌ قبيح سوى كلامٍ منظَّم بالحكمة وربحٍ لنفس سامعيه . فالآن يا ابني قم بفرح عظيم وقلب نقيّ وسرور كامل وادخل الى كرمك (١٤٣) ووقِّرهُ كما يليق لكرامتهِ لأنَّ كرامتهُ عظيمة عند الله والناس قدَّام الربّ الصباؤوت

فقام يشوع للوقت وقبَّل يد سليمان الملك واخذ حمارهُ ومضى الى بيتهِ وهو فرحان ودخل الى عند امرأتهِ . فأتت وقبَّلت يده فامرها ان تجلس بجانبهِ فجلست واخبرتهُ بالحكاية كلها من اوَّلها الى آخرها . فشكر الله تعالى الذي حرس نفس خائفيهِ الذي لهُ العظمة والوقار الى ابد الابدين ودهر الداهرين امين

تمَّت قصَّة افيقيا زوجة يشوع بن سيراخ والحمد لله دائماً وحدهُ امين

المذهب الدروييني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تتمَّة)

الجواب على بعض اعتراضات الدرويينيين

أولاً انتساب بين الانواع القريبة

﴿ اعتراض اوَّل ﴾ يقول الدرويينيُّون أنَّنا اذا نظمنا انواع الحيوانات الحاضرة

تدريجاً على حسب تشابه البعض منها بالبعض الآخر يتأثر النظر لقلّة ما بينها من الفرق فيحكم الناظر بتحوّلها وترقيها من نوع الى آخر

﴿ الجواب ﴾ لسنا لننكر هذا التشابه الظاهر بين نوع وآخر في الجنس الواحد. لا بل لا تخلو الاجناس من التشابه بين بعضها في المرتبة الواحدة . ولو اقتصر الناظر الى هذا الشبه المادّي لعلّهُ يحكم ببعض النشوء المتدل كما يرضى به اليوم بعض العلماء مع منافاتهم للمذهب الدروييني وآرائه في الاختيار الطبيعي والتوافق الحيوي وتناسل الانسان من الحيوان

لكنّ اكتشاف العاديّات القديمة لم تثبت هذا النشوء مهما رقينا سلّم الاجيال . فانّ علماء طبقات الارض القديمة وجدوا في التربة الواحدة هياكل الكلب والذئب وابن آوى مختلطةً وذلك منذ الاعصار الاولى التي ظهرت فيها تلك الحيوانات المتشابهة دون شيء يثبت اشتقاق بعضها من بعض او تحوّل انواعها

ولا يكفي لإثبات مذهب النشوء الحكم بتشابه الانواع في صورتها الظاهرة او في اعضائها الباطنة المكشوفة بالتشريح . بل يلزم ايضاً اعتبار اخلاقها وعاداتها وغرائزها الخاصّة . ومن ثمّ قد خُدع الدرويئيون اذ بنوا حكمهم ابيان رأيهم على هذه الاشكال المتناسقة التي تُنظَم في المتاحف . فليس هذا برهان مقنع وكثيراً ما ينخدع الناس بهذه الاشباه فانّ اهل الشرق يعدُّون مثلاً الارنب والخرز كنوع واحد وانّما يجعلون الارنب حيواناً اهليّاً والخرز برّيّاً . وليس الامر كما يزعمون لاختلاف غرائزهما فانّ الارنب يمكن نقلهُ من الوحشيّة الى الدجونة وليس الخرز كذلك — ثم ان اعتبرت الدببة وجدت اكثر اصنافها تقتات باللحوم . ومنها نوع طعامهُ العشب — كذلك دوابّ الحقول الصغرى كالفئران والجرذان التي هي آفة على الغلّات فانّ منها نوعاً لا يمسّ الحبوب يدعى موسارين (musaraigne) قوتهُ الحشرات فهو نافع لا بأس منهُ

ثمّ لا بُدّ للنواميس التي يدّعي الدرويئيون بصحّتها في ذوي الفقرات ان تصحّ ايضاً في الحشرات . وان اعتبرنا هذه الحشرات قامت في وجه الدرويئيين عقباتٌ لا يمكنهم قطعها . فانّ هناك اشكالاً مجنّحة كالذباب والفراش وذوات الاربعة الأجنحة الجلديّة الخ وكلّها يصيبها على اختلاف انواعها تحوّلات شتّى فالبيضة تخرج منها دودة

ثمّ تتحوّل الدودة الى جيز ثمّ بعد ازمنة محدودة لكل نوع الى حشرة تامّة البنية . فمن يستطيع ان يدلّ على ازمنة هذه التطوّرات التي منها تنتج على قول دروين الانواع الجديدة ؟ وهل يكون التأثير الحاصل في الدودة مؤثّرًا ايضاً في فراشتها ؟ وهل يكون ذلك كلّهُ منعول الطبيعة الصياء جارياً على سبيل الصدفة . فهيهات ان ينتج عن كل ذلك كائنات منظّمة ما لم يتولّ عقلٌ سامٍ تدبيرها في تلك الاطوار لاسيّما ان كلّ تحوّل يحدث في كيانها كفراشة يجب ان يؤثّر في غريزتها كدودة . انّ من الواجب على مذهب النشوّ والتحوّل ان يبيّن سبب الاختلاف الواقع في وهم هذه الدودة الغائصة في الزبل وتلك الذبابة ذات الاجنحة الملوّنة بازهى الالوان وكلاهما حيوان واحد في اطوار مختلفة من حياتهما . وكذلك يجب عليهِ ان يُعلّل وجود دودةٍ مُشعرة تسير في العشب ثمّ تصبح جيزةً في فيلجة ثم طائرًا ترين اجنحتهُ نقوشٌ هندسيّة كما ترين ذوي جنسهِ بأجمعهم والحيوان باقٍ في كيانه الوحيد رغماً عن اطوارهِ الثلثة افليس لهُ في كلّ حالةٍ من احوالهِ اوهام تؤثّر في تطوّرهِ المثلّث ؟

ان درس الحيوانات عالمٌ جديد لم يمن دروين فيهِ النظر لتطبيق احوالهِ مع مزاعمهِ فلو كان فعل لعرف انّ مذهبهُ لا يقوم لهُ قائم . والذي فتح للعلم هذا العالم الجديد منذ نحو خمسين سنة فقط هو عالم فرنسوي يُدعى فابر (Fabre) دعوهُ بهوميروس الحشرات فانّهُ بيّن ان بين الحشرات المتشابهة الصورة والبنية وذات الانواع المتقاربة في الجنس الواحد غرائز واوهاماً غاية في الاختلاف . فبعضها تتّخذ لها عشًّا من الشمع وبعضها من راتينج الشجر . هذه تجعل في عشّ لصغارها قطناً وتلك اوراقاً يابسة او معجوناً من النبات تحوّلهُ الى شبه الورق . وغيرها تمجن بلعابها تراباً فتجعلهُ عشًّا . ومنها من يكتفي بحفرةٍ في الارض او بثُخروبٍ في الشجر . وكذا قلّ عن طرائق الحشرات في تغذية صغارها فالواحدة تهيّ لنسلها غذاء من النبات العسليّ تجعلهُ في حُقّةٍ مختومة ملصقة بالبيضة . والاخرى كالنحلة الاهليّة تغذي صغارها يوماً بعد يوم . هذه تقدّم لها طعاماً من لحم الهوامّ المخدّرة وتجعلهُ داخل البيضة وتلك تصيد لها كلّ يوم طعامها وهلمّ جرًّا فليس نوع منها الّا يجري على منوالٍ خاصّ لبناء عشّهِ ولغذاء صغارهِ ولصيد فرائسه الخ

أفيستطيع الدروينيّون ان يبنوا رأيهم في وحدة اصل بعض هذه الحشرات على

ما يرونهُ من الشبه الظاهر في صورتها حتّى ولو كانت من جنس واحد كالنحل مثلاً ؟ فكيف يسهون عن هذه الاختلافات التي عدّدناها في كلّ صنفٍ منها وغيرها ايضاً سبق لنا وصفها ولاسيّما انَّ عدداً عديداً من صغار هذه الحشرات لا تخرج من بيضها الّا بعد موت الوالدين كما انَّ العلماء تحقّقوا انَّ تلك الطباع الموصوفة هي ثابتة في الحشرات لا يصيبها اختلاف البتّة . وكلّ ذلك لمّا ينسف مدّعيات الدوروينيين نسفاً ويخالف ما يزعمونهُ من ترقي الانواع سابقاً حتّى بلغت الى حالتها اليوم من الكمال ثمّ حاضراً لتترقّى وتتحوّل الى ما هو افضل واكمل

وان اعترض الدروينيّون انَّ هذا التحوّل يصير بعد اجيال عديدة . اجبناهم ان الحفريّات الجيولوجيّة لم تهدنا الى هذه التحوّلات فالحيوان اليوم كما ظهرت هياكلهُ قبل الوف من السنين . وزد عليهِ انَّ الحشرات تتناسل مرّة واكثر في كلّ سنة فكيف لا نجد بعد الوفٍ من السنين في صورتها كما لا جديداً يدّعيه الدروينيّون . بل ترى العنكبوت تنسج لُحمتها وسداها اليوم كما كانت تفعل في عهد ارسطاطاليس وتمجّ النحلة شمعها وعسلها كما كانت تفعل في زمن سليمان الملك . فيتّضح ان هذه الانواع كانت في ذاك العهد السحيق ثابتة لم يصبها اختلاف البتّة . قال العلّامة هير (O. Heer) : « انَّ الثبات العجيب الذي نجدهُ ليس في بنية الحيوانات فقط بل في أوهامها الغريزيّة لَمن اوضح الادلّة المبطلة للمذهب الدروينيّ في النشوء والتحوّل لانَّ بهِ نعلم انَّ تلك الاوهام ليست نتيجة التقليد والاحتذاء بل هي مجبولة في طبيعتها بيد خالقها . فلو كانت تلك الاوهام ثمرة تربيتها على ما يزعم دروين لكانت قابلة للترقي والكمال ولاسيّما في الحشرات القصيرة العمر العجيبة الاوهام الكثيرة التطوّرات في كيانها »

والحقّ يقال انَّ ثبات الاوهام في هذه الهوامّ اوضح وارسخ منهُ في ذوات الفقرات لانّ تلك الاوهام متوفّرة فيها ومع وفرتها تجدها باقية على حالها دون ادنى ترقٍّ وتحوّل

قد سبق لنا في مقالتنا «الحشرات الجرّاحة» (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٣٥٩—٣٦٦) وصف عدّة حشرات تظهر من الاعمال الغريزيّة العجيبة لإعداد غذاء صغارها ما يحيّر العقول وذكرنا هناك صيد الهامّة المدعوة سكولي (Scolie) لدود حشرة اخرى تدعى

سِتْوان (Cétoine) فاذا وجدتها في الارض وتحت نفايات الاعشاب انتزعتها والصقت بيضةً من بيضها على دودةٍ واحدة بعد ان خدّرتها دون قتلها حتّى اذا حان وقت تفقيص البيضة خرج منها الصغير ووجد طعامهُ مهيّئاً فيأكلهُ طريناً ولئلّا تموت الدودة سريعاً يبتدئ بالاعضاء الثانويّة فيلتهمها تدريجاً ثم ينتهي بعد ايام باكل الاعصاب الحيويّة. فكم في هذه الاوهام الغريزيّة من الاعمال العجيبة التي تنفي كلّ مدّعيات الدروينيّين :

١ً ترى اوّلًا هذه الدودة في بدء حياتها حاصلةً على اوهام كاملة تستعين بها لاكل غذاء مخصوص ملائم لها

٢ً ترى ثانياً انّ اوهام هذه الدودة اذا تحوّلت الى فراشةٍ تتغيّر وتختلف دون علم سابق فتنبش التراب وتستخرج من عمقهِ دوداً من جنس حشرات معلومة لتلصق بدودة منها بيضها وكأنها تعلم انّ تلك الدودة تؤذي صغيرها عند نقفهِ بيضتهُ تخدّرها وتبتجها دون ان تقتلها فلو قتلتها يبس لحمُها فلا يستطيع الصغير ان يتغذى بها

٣ً ثم ترى الكمال في وهم الصغير منذ اوّل حياتهِ بحيث يعلم من اين يباشر الأكل من صيدهِ لئلّا تقضي الدودة سريعاً فيفقد غذاءهُ ويموت هو ايضاً لا محالة اذ ليس لهُ غذاء سواها

٤ً . ثم اعتبر الحشرة الأمّ التي تمدّ الطعام لصغيرهِ وهي تموت قبل ان تراهُ فتلتئمهُ اعمالهُ لطريقة غذائهِ وترشدهُ الى بقيّة التصرّف في حياتهِ

فكل هذه الاعتبارات التي تفقد المذهب الدروينى من اصلهِ ليست خاصّة بهامّةٍ واحدة بل بهوامّ عديدة ولكلٍّ منها اوهامهُ النوعيّة لا يحيد عنها مطلقاً وليس ادنى دليل على تحوُّلها وترقّيها. لا وايمُ الحقّ لا يستطيع الدروينيّون ان يأتوا بشرح معقول لبيان هذه الاوهام المتعدّدة في كلّ نوع من الحشرات مع ثباتها عليها. ومن ثمّ قام المسيو فابر منتقداً لآراء دروين ومثبتاً انها آراء سخيفة مضحكة. وكفى بحكم هذا النابغة برهاناً على بطلان مذهب النشوء والتحوُّل . ومن ثمّ قد رمى دروين الكلام على عواهنهِ اذ خصّص في كتابهِ عن اصل الانسان نيّفاً و ٤٠٠ صفحة ليبيّن ما يوجد من الاختلافات العرضيّة نتيجة الاختيار النسلي في قرون ذوات الاثدي وفي لون ريش الطيور واجنحة الفراشات ليستدلّ بذلك على انّهُ يمكن القول ايضاً بتناسل

الانسان من القرد . لأنَّ اختلاف الوان الاجنحة وصورة القرون او طولها وغير ذلك من التشابهات العرضيَّة ليست اموراً جوهريَّة في بيان استقلال انواعها . وانما الاصل في ذلك ان يبيِّن خواصّ اوهامها . فتلك طباعٌ ثابتة لا تتحوَّل على الاطلاق . واذا ثبتت هذه الاوهام بطلت ايضاً حجَّة الدرويينيين المستندين في زعمهم على التشابه الظاهر

نائباً الحاجة تنتج الاعضاء

﴿ الاعتراض الثاني ﴾ يقول الدرويينيُّون انهُ قد ثبت انَّ بعض اعضاء الحيوان قد ضعفت وشلَّت لعدم استعمالها كما انَّ اجهزةً اخرى على خلاف الامر تقوى وتشتدّ بالعمل والتمرين فيجوز اذن القول بانَّ الحاجة تُنتج الاجهزة والاعضاء .

(الجواب) قد سبق لنا ايضاح هذا المبدأ الذي يتشبَّث بهِ الدرويينيُّون اذ يزعمون انَّ الحيوانات من ذوات الاثدي والزحافات والطيور كانت عند مقتضى الحاجة تنتج لها اعضاء جديدة لتقوم بحاجات حياتها وقد ضربنا لهم في ذلك امثالاً شتَّى (اطلب الصفحات ٦٦١—٦٦٢) وكان برسمنا ان نضيف اليها امثلةً اخرى مضحكة كسمة عيون البوم لترى في الظلمة وكسنام البعير ليستطيع حمل الاثقال وكالجلدة بين اصابع الطيور المائيَّة لتسبح في المياه وكطول مناقير طيور الهواء لثقب الشجر او صيد الفرائس وكلّ ذلك على قول الدرويينيين انما نشأ في الحيوان عند احتياجهِ الى تلك الاعضاء بقوَّة عمياء كانت فيهِ في سالف الاعصار وهي اليوم قد بطلت

ونحن لا ننكر انَّ الاعضاء العاملة تقوى بالشغل والتمرين وانَّ الاعضاء الباطلة تضعف . ألا ترى مثلاً انَّ قوَّة السمع في الضرير الاعمى اشدُّ واقوى فتقوم لهُ مقام عيونهِ . وكذلك حاسَّة اللمس فيهِ ادقّ وألطف . ومثلهُ الموسيقي الذي يضرب بالبيانو والبهلوان الراقص على الحبال فكلاهما يبلغ الى حذاقة غريبة ذاك في تحريك اصابعهِ وهذا في توازن حركاتهِ . ونسلِّم ايضاً للدرويينيين انَّ اجنحة الطيور تقوى بالطيران وانَّ الطيور الاهليَّة كالوزّ والدجاج والديك الحبش والنعامة لا تستطيع الطيران لعدم تمرُّنها عليه منذ اوَّل نشأتها . ولكن لا صحَّة لقول درون انَّ هذه الطيور فقدت قوَّة الطيران لعدم استعمالها وكان استعمالها مفيداً لها لكنَّها اذ وجدت في اعضائها ثقلاً واجهزةً غير مناسبة للطيران كفَّت عنهُ

ونوافق هِكِل على قوله انَّ حاسَّة البصر وغير ذلك من الحواسّ تزيد كمالاً في الطبقات الحيوانيَّة على قدر ما ترتقي من جنسٍ الى آخر ولكن أينتج عن ذلك كما يزعم هِكِل انَّ تلك الحاسَّة اللطيفة المركَّبة من اجزاء دقيقة الوجهة لنظر المرئيَّات الخارجة هي مفعول الصدفة او نتيجة سياق أعراض متعدّدة وقعت اتّفاقاً دون عقل ازليّ تولّى صنعها ؟ لا لعمري

وقس عليه ما يزعمهُ الدرويذيُّون عن أذناب الحيوانات وغير ذلك من أجهزتها فانَّ ما يأتون به من التعليل لوجودها في الحيوان اي حاجتهُ اليها مع الانتخاب الطبيعي كلُّهُ حدسٌ باطل لا صحَّة لهُ اذ يجعلون الحيوان ادراكاً سابقاً وغاية بعيدة يرمي اليها منذ عدَّة اجيال . وفي كلّ هذه المزاعم من الغرابة والتخيُّلات ما لا يخفى

فيا لله ليس احد من الدرويذيين يجسر ان يقول بانَّ آلةً ما بخاريَّة تتركَّب دون ان يعالجها هندسيّ صناعيّ ماهر يحكم صُنع كلّ جزء منها ثمّ يضمُّها الى بعضها ويجهزها للغاية التي يتوخّاها . فكيف يستطيعون ان ينسبوا الى الصدفة والاتّفاق أجهزةَ الحيوان مع انَّ كلّ جزء من اجزائها يستوجب نظراً خاصًّا لما فيه من دقَّة الصنع وتباين الاجزاء . وليس الكلام عن جهاز واحد لبعض الحيوانات بل عن أجهزة كلّ الحيوانات المنبثَّة على الارض . فلا نُدحة اذن لشايعي دروين ان يعترفوا بوجود كائن اسمى واعظم يتولّى تدبير كلّ هذه الطوارئ . اما نسبة حدوثها الى الحاجة فلا يغني بالمرام . أفليس من حاجة يا ترى للانسان ان يرى في الظلمة كالبوم فما لهُ لم يحصل على هذه الحاجة ؟ او ليس عدَّة دوابّ في حاجة الى سنام مثل الجمل لتحمل اثقالها فما السبب انَّها حُرمت ذلك الجهاز فأعطي للجمل دونها ؟

وكذا قل عمَّا يخترعهُ الدرويذيُّون لتعليل ما يجدونهُ في كلّ صنف من الاجهزة الخاصَّة للقيام بامور معاشهِ والدفاع عن نفسهِ فانَّ تلك التعليلات لا سند لها الَّا في دماغ القائلين بها . لأنَّ مبدأهم انَّ الحاجة تُنتج الآلة لا يصحّ الَّا بان يُفترض للحيوان علمٌ سابق بما يسدُّ حاجاتهِ ويرفع بهِ من حالةٍ ادنى الى حالة ارقى فانَّ علماً كهذا يفوق طور الحيوان غير الناطق . وغاية ما يتوق اليه هو ان يوافق نوعهُ واوهامهُ الخاصَّة بنوعهِ وما يخرج عن ذلك فلا يخطر لهُ على بال لأنَّهُ يجهل ما هو خارج عن كيانهِ ومن ثمَّ يسقط قول دروين بانَّ الحاجة تنتج الآلة

مأتأ التنازع للبقاء

(الاعتراض الثالث) قد جعل دروين تنازع الحيوانات لحفظ بقائها كاحد عوامل مذهبه وكسبب اختلاف الانواع وتوفرها . فعلى قوله ان الافراد الحاصلة على افضل الخواص هي التي تثبت وتنمو فيترقى كلٌ منها ممالثاً للصفة الغالبة عليه

(الجواب) يعرض العلماء امر التنازع للبقاء على خلاف ما يرويه دروين فانهم ينكرون عليه ما يدّعيه بان هذا التنازع يُنتج انواعاً جديدة من السلالة الواحدة وانما يجعل تلك السلالة على سَواء فقط بإلقاء الافراد الضعيفة الضئيلة وصيانة القويّة منها كما يجري في الانتخاب الصناعيّ اذ يختار الانسان المواليد القويّة ليحصل على افضل منها قوةً وشكلاً . اما حصول الانواع الجديدة بهذا التنازع فمن اضغاث الاحلام

لا بل انّ من يعتبر الحفريّات الجيولوجيّة وما وُجد فيها من هياكل الحيوانات القديمة وقابلها مع الحيوانات الجديدة التي من جنسها وجد الانواع الحديثة ادنى جنساً واصغر حجماً واخفّ قوةً من الانواع الاصليّة التي ظهرت في اوّل العالم وذلك على عكس المذهب الدروييني . مثالهُ جنس الفيلة (Proboscidiens) التي فُقدت ولم يبقَ منها حاضراً الّا الفيل الهندي الحالي وهو دون الانواع السابقة كبراً وقوةً . وكذلك الطيور فان ما وُجد من هياكلها القديمة يدهش العقل بكبره واشكاله وصوره . والطيور الحاليّة بالنسبة اليها كالأقزام بازاء الجبابرة . وقس عليها الزحافات القديمة التي كانت كالتنانين يستر بطونها قشور عظميّة على خلاف الزحافات الحاضرة التي تحقر صدورها من ذاك الدرع فهي ادنى جنساً من السابقة . ومن الزحافات القديمة ما كان مجنّحاً يستطيع الطيران ولم يبقَ لنا منها اثرٌ حيّ بل آثار مستحجرة في اعماق الارض

وما نقولهُ عن الحيوان الكبير يصحّ ايضاً في الهوامّ والحشرات التي كانت في اول ظهورها كاملة الصورة اكبر حجماً من الانواع المعروفة في عهدنا

ويجوز اطلاق هذا القياس على نباتات اطوار العالم الاولى فان ما وُجد من انواعها في اعماق الارض كالحشاور والنبات المخروط الشكل كلها غاية في العظم والنموّ والتشعّب تفوق الانواع الحاليّة فوقاً كبيراً . فترى ان الآراء الدروينيّة من هذا القبيل ايضاً لا سند لها ينفيها علم طبقات الارض والعاديات الجيولوجيّة

رابعاً مفعول الوسط

(الاعتراض الرابع) يستند الدروينيّون لاثبات مذهبهم الى التأثير الحاصل في ألوان عدّة حيوانات بعامل الوسط

(الجواب) ان مفعول الوسط في تلوين بعض الحيوانات التي تعيش في اراضٍ كَبِدة اللون مغبرّة ربّما اثّر في لونها الرمادي الأغبر . كذلك الدبّة والارانب الساكنة في جهات القطب حيث الثلوج الغرّاء هي بيضاء اللون . ويشبه الاسد الافريقي لون الصحاري التي يعيش فيها والارنب لون الاسيجة التي يسكنها والسّاوي والحجل لون الصخور والصرائف اليابسة التي يأويان اليها . وبعض الحشرات تتلوّن بلون الاعشاب التي تألفها . ومن الفراشات ما تشبه اجنحتها في تقاطيعها المرمريّة قشر بعض الاشجار التي تألفها

فيصرخ الدروينيّون ان هذا من عجائب طباع الحيوان الذي يلتجئ الى هذه الالوان ليصون بها نفسهُ من عدوّهِ . وذلك من دلائل فهمهِ

قلنا ان هنا ايضاً يجب الانكار على دروين وإبطال ما يستنتجهُ من النتائج الباطلة التي لا تثبتها المقدّمات . فانّنا مع اقرارنا بمفعول الوسط في تلوين بعض الحيوانات لا نسلّم لهُ بالنتيجة التي يستنتجها من ذلك . لان هذا المفعول المذكور ليس بالمطلق فكم من الحيوانات التي تخالف الوانُها الوان الامكنة التي تعيش فيها . وكم نعرف من الحشرات والحيوانات التي تخالف الوانها الوان الوسط فتزدهي بألوان شتّى تعرّضها لسهام اعدائها . فاين فهمُها المزعوم اذا كان يجب عليها ان تحذو حذو وصفائها من الحيوان ؟ . فان كان الدبّ والارنب يتلوّنان بالبياض تشابهاً بالثلج في جهات القطب فانّ هناك حيوانات اخرى سوداء اللون وشهباء الخ . فتعميم دروين لهذا المبدأ يناقض مذهبهُ كما انهُ مخدوع برأيهِ اذ يزعم ان تلوّن بعض الحيوانات على شبه الوسط انّما عمدت اليهِ قصداً لرغبتها في التستّر من اعدائها . فان الحيوانات الصيّادة كالكلب وغيرهِ اذا حاولت صيد حيوانٍ لا تسعى الى اصطيادهِ بالنظر الى لونهِ بل باستنشاقها رائحتهُ لدقّة هذه الحاسّة في الحيوانات الصيّادة اذ تستنشق من بعيد رائحة عدوّها فتثب عليهِ مدفوعةً اليهِ بشمّها

خامساً التشابه بين الانسان والقرد

(الاعتراض الخامس) انّ بين الانسان والقرد وجوهاً من التشابه لا يمكن انكارها

(الجواب) هذا التشابه انّما هو في الشكل الخارجيّ ولا يدلّ على شيء ممّا يزعمهُ الدروينيّون . فانّ الله اذ ابدع انواعاً مختلفة من ذوات الفقرات خصّ كلاً منها بخواصّ شتّى مع حفظهِ على وحدة الرسم الذي توخّاهُ وقد اراد ان يجعل الانسان كخاتمة تلك الطبقات المتباينة

ثمّ فليعتبر الدروينيون القرد والانسان من كثب فكم بينهما من الاختلافات تظهر ليس فقط في ادبيّات الجنسين ولكن حتّى في تركيبهما الظاهر . انّ القرد كما هو معلوم قد طُبع على تسلّق الاشجار وكل بنية جسدهِ موافقة لهذه الغاية . يخالف القرد الحيوانات ذوات الاربع والانسان معاً بجوارحهِ الاربعة التي هي لربع ايدٍ (quadrimane) لهُ اربع اذرُع بالغة الطول واربع اياد الابهامُ فيها مقابلٌ لجميع الاصابع . هذا فضلاً عن ذنبهِ الطويل الذي يستطيع ان يقبض بهِ على الاغصان فهولهُ بمثابة يدٍ خامسة . ثم لا ينتصب القرد في مشيهِ الّا مرغوماً فان طبيعتهُ كطبيعة الكلب ان يدبّ على اربع قوائمهِ ما لم يرَ ثهُ صاحبهُ على نصب قامتهِ . فاذا أُهمل الى غريزتهِ أقعى في جاوسهِ

والانسان على خلاف ذلك فان بنيتهُ تستدعي انتصابهُ . وقد خصّهُ الله بين كل حيوانات خليقتهِ بهذه المنحة اعني قيامهُ منتصباً وهذه الهيئة يحصل عليها ليس فقط من تركيب صورة رجليهِ ولكن من قوام كلّ هيكل جسمهِ . وما قولنا عن دماغهِ وعن زاوية وجههِ الخ

ولاجل هذه الاختلافات العديدة بين الانسان والقرد لم يشأ الدروينيون ان يقولوا بتناسل الانسان رأساً من القرد وانّما وضعوا بينهما حلقات عديدة متوسّطة لا يزالون يبحثون عنها كما روت مجلّة الهلال في عددها الاخير في مقالة عنوانها «الحلقة المفقودة» ذكرت تألّف لجنة اميركيّة سافرت الى جهات الصين لتبحث عنها (كذا والجنون فنون!)

وما قولنا الآن عن الاختلافات الادبيّة بين الانسان والقرد التي يعجز عن

شرحها مشايعو مذهب النشوء والتحوُّل. انَّ الانسان يتكلَّم وينطق ويفتكر ويبرهن عن آرائهِ منطقيًّا ويعمل وفقًا لغاية يقصدها. الانسان متديِّن مائل الى الآداب الحسنى قابل الكمال. نظرهُ تبسُّمهُ ضحكهُ كلُّ حركاتهِ تشهد على عقلهِ. اما القرد فلا نُطق لهُ ولا فهم ولا دين ولا ادب ولا ضمير. هل عرض لاحد من الناس ان ينسب خطيئة او اثمًا ما الى القرد؟ وقد اثبتنا سابقًا ما رواهُ الاسقف السيد لوروا اذ كان مرسلًا عند برابرة الكنغو فأوقد معهم نارًا للاستدفاء. فرأى قردًا بعد ابتعادهم جاء ليستدفئ واذ تعجَّب من فعلهِ قال لهُ اولئك الهمج: يأتي القردة اذا رأوا نارًا موقدة فيتدفَّأون عندها لكنهم لم يستطيعوا ابدًا انَّ يوقدوا نارًا ولا ان يحفظوها لئلَّا تنطفئ

وكذلك اخبر ما شاهد عند اولئك البرابرة من الافراح في اعراسهم كما تجري في كلّ اقطار العالم. فمن سمع يا ترى بمراسم فرح للقردة؟

وكفى لتفنيد هذا المذهب الباطل انَّ هكل لم يَنضوِ اليهِ ولم يقل بالتحوُّل والنشوء الَّا ليتَّخذهُ كوسيلة لنكران وجود الله وخلقهِ للعالم. فلا عجب انهُ اعتبر الانسان متناسلًا من الحيوان خاليًا من نفس روحانيَّة. وعلى مثالهِ يكون من يرتأي رأي الماديِّين فيزعم انَّ الانسان من القرد فانهُ بقولهِ هذا ينفي (اولًا) وجود الله. ينكر (ثانيًا) روحانيَّة النفس وخلودها فتموت بموت الجسد. ومن ثمَّ يجب القول (ثالثًا) بعدم وجود ابديَّة وكل ثواب في السماء وعقاب في الجحيم. ثم ينتج (رابعًا) ان لا فائدة من الآداب ولا فرق بين الخير والشرّ ولا بأس ان يسرق الانسان ويقتل ويزني اذا امكنهُ الفرار من العدل البشري. واخيرًا (خامسًا) ينتج ان الحقّ في العالم لصاحب القوَّة فردًا كان او امَّة. وانهُ ليس قاعدة في العالم سوى الصالح الشخصي عدلًا كان او جورًا

فكل هذه النتائج التي يجيئها العقل الصائب فضلًا عن اهل الدين والتقى تتصل بقول هكل وانصارهِ اتصال الشجرة بثمرتها ونتيجة القياس بمقدِّماتهِ. وفي كتب الفلسفة يزيِّفها العلماء بالادلَّة القاطعة فنحيل اليها القرَّاء. وانَّما نكتفي بالمقابلة بين الطفل الصغير وبين مواليد الحيوانات لنرى ما بينهما من الفرق. فانَّ ابن الانسان يولد وينشأ ويكاد يبلغ الرشاد وهو لا يعرف شيئًا. على خلاف مواليد الحيوان فانها منذ اوَّل ولادتها حاصلة على كمال العلم الغريزي ورثتهُ من الابوين دون تلقين ولا عناء

فان الطائر يعرف بناء عشه بكل اتقان . تعرف النحلة ان تجني الزهور وتصل الشمع والعسل . لبعض الحشرات قوة الانارة فتبث من جسمها نورًا مشعًا بعضها في قعر البحر وبعضها في الهواء . تستطيع بعض الاسماك ان تطلق من جسمها طلقات كهربائية تقوى على قتل رأس خيل . وكل ذلك يعلم به الحيوان دون علم سابق او تلقين من الابوين . وانما هو كخلقة يرثها الابناء عن الجدود دون توسط . وهيهات ان نجد شيئاً من ذلك في الانسان فلا نرى نجارًا او بناء او مهندساً او حائكاً يورث ابنهُ عند مولده علم النجارة او البناء او الهندسة او الحياكة مع ان مذهب دروين يستلزم هذه الوراثة لأن الانسان على رأيه يجمع في شخصه كل خواص الحيوانات اجداده . وعلى عكس ذلك اذا كبر الولد تراه قادرًا على ان يتعلم كل العلوم بينما يبقى الحيوان على علمه الغريزي الموروث لا يزيد عليه ذرة

بين النقوش التي تزين احد ابراج كنيسة بورج الكاتدرائية في فرنسة صورة امرأة تمثل الجنون . امامها قرد تسعى بان تعلمه القراءة فهي تصرخ بل فيها وتظهر قنوطها من بلوغ أربها . فهذا الجنون الذي اخرج اولئك المهندسون صورته على هذا المثال نجده اليوم بعد ثلثمائة سنة في مشايعي دروين الذين يفرغون المجهود في رفع شان القرود ولولا كرامتهم لشبهناهم بتلك المرأة المجنونة التي لم نجدها عناؤها وصراخها نفعاً

خلاصة مقالاتنا السابقة

ان من تصفح ما كتبناه حتى الآن يمكنه ان يستخلص من كلامنا بعض النتائج الآتية : ان في مذهب التحول والنشوء مزاعم شتى منها ما هو مخالف تماماً للحقيقة ومنها ما هو حدس وتخمين فلا شيء يقضي على العقل بقبوله لا من الايمان ولا من العقل

وقبل كل يجب رذل وتفنيد آراء هكل المادية وهو يدعي بقدم العالم وبظهور الحياة على وجه الارض بقوة الطبيعة وحدها ليتذرع بذلك الى نفي وجود الله وتكران خلود النفس على خلاف ما يوحيه الوحي ويؤيده اعتقاد الامم ويبينهُ العقل الذي لا يسلم بوجود معلول لا علة له . وقد ثبت بطلان قوله بالتولد الذاتي لتعليل وجود الحياة

بعد ان بيّن پاستور انّ الحيّ لا ينتج الّا من حيّ سابق. فلم يبقَ بعد ذلك لهكل سندٌ يستند اليه رأيهُ فان استمرّ عليه هو وتابعهُ فيه بعض الناس فما ذلك الّا ليتحرّروا من ربقة الدين ويستسلموا دون رادع الى اهواء قلوبهم . على خلاف اصحاب الدين والعقلاء فكلّهم يزيّفونهُ

امّا رأي الدرويينيين المعتدلين المعتقدين وجود الخالق والقائلين بتطوّر الانواع في الحيوان والنبات لظنّهم ان ذلك يبيّن على وجه افضل ترقّي الكائنات وتسلسلها بعد خروجها الاول من يد الخالق فان ذلك ينفي اضاليل الماديّين لكنّهُ ايضاً زعمٌ وتخمين يردّ الاختبار معظمَ ما يتشبّث به هؤلاء من الادلّة وهم يفترضون عدّة افتراضات ويعتبرونها كحقائق علميّة راهنة دون ان يثبتوها بالواقع . وهذا ينافي الاساليب العلميّة

يسلّم دروين بان الله خلق في اوّل العالم بعض الامثلة الحيوانيّة او النباتيّة ثمّ اهملها لقوّتها الغريزيّة التي تمكّنت دون وساطة الخالق او عقلٍ فهيم الى ان تنتج من تلقاء ذاتها انواعاً جديدة حصلت لها في تعادي الاجيال على يد عوامل عمياء اجتمعت صدفةً

وفي هذا القول مع اعتداله نوعاً امورٌ بعيدة عن كلّ صواب اذ ينسب النظام والترتيب والغايات السابقة لقوّات عمياء تتآلف وتتوافق لتأتي بغايةٍ لا تستطيع ادراكها . قال العلّامة الانكليزي الدوق دارجيل (d'Argyll): « انّ قول دروين هذا في اتّفاق القوى العمياء لتوليد الانواع يشبه قول من يزعم انّهُ يكفي لوضع قصيدة هوميروس (الالياذة) ان يؤخذ مجموعُ حروفها ويُلقى ميكانيكيّاً فتتألف منهُ صدفةً تلك القصيدة بتمامها »

ثمّ التجأ الدرويينيّون لاثبات رأيهم الى الانتخاب الطبيعي زاعمين انّ بهِ تألّفت في توالي الاجيال كائنات ذات خواصّ جديدة وأجهزة جديدة تترقّى كمالاً مع توالي الازمنة . وهذا ايضاً من التخيّلات التي لا تؤيدها صدقاً العوامل التي اضافوها اليها كالحاجة ونفوذ الوسط اذ لا يمكن تلك العوامل ان تؤلّف وتنظّم المفعولات التي يزعمونها

وكذلك رأينا انّ اكتشافات الجيولوجيين وحفريّات ارباب الطبقات الارضيّة والعاديّات الاثريّة تناقض مدّعيات المذهب الدروينى اذ يجعل الانواع المختلفة ناجمة

عن بعض الامثلة الاصلية فانّ اقدم تلك الآثار جامعةٌ للأنواع المتعدّدة دون دلالة على اشتقاق بعضها من بعض وتحوُّلها من انقص الى اكمل سواء بقيت تلك الانواع الى عهدنا ام بادت او استحجرت ثمّ قام بدلاً منها انواع غيرها ثابتة مثلها . وكذلك النباتات القديمة قد بقي منها مستودعات عظيمة تدلُّ على نموّها مدّة اجيال متعدّدة وليس هناك اثرٌ للتحوُّل الدروينيّ المزعوم . وقد طلب الدروينيّون المعتدلون شرحاً معقولاً لتعليل وفرة الكائنات الآليّة التي تُرى في جملة المستحجرات فزعموا انّ الله عاد غير مرّة وأبدع امثلةً جديدة لا اثر لها في الاطوار السابقة ومنها اشتقّت الانواع المستحدثة . وهذا ايضاً قول لم نجد له اساساً في علم العاديّات كما يقرُّ به الدروينيُّون لا بل تنقضهُ تماماً ويشهد ما اكتُشف من تلك الكائنات في طبقات الارض المختلفة انّ النبات والحيوان المعاصرَين لتلك الطبقات كانت انواعهما في كمالها ولم يوجد منها نوعٌ واحد يمكن إثبات تحوُّلهِ من نوع الى آخر دون شبهة . امّا الاختلافات العرضيّة الموجودة بين الاشكال فليست برهاناً مقنعاً على صحّة رأي دروين اذ يمكن الانسان بانتخابهِ الصناعيّ ان ينالها بيد انّها لا تثبت اذا كفّ العامل الخارجيّ عن مواصلة تأثيرهِ فيها

ثمّ انّ ما يوجد من الاختلافات العظيمة في اوهام الحيوانات المتقاربة النوع سواء كانت من ذوات الفقرات او من الحشرات تؤدّي للمتذهبين بمذهب دروين مشاكل جديدة لا يقوون على فكّها . ومثلها قولهم عن تناسل الانسان من الحيوان ولو افترضوا انّ الله خوّله نفساً روحانيّة فانّهم لم يثبتوهُ بحجّة مقنعة وينفر عنهُ اليوم كلّ ذي عقل صائب وذوق سليم اللهمّ الّا بعض الدهريّين والماديّين

فلا عجب بعد هذا ان نرى العلماء الموثوق بهم بعد ان انحازوا مدّةً الى الرأي الدروينيّ عدلوا عنهُ واهملوهُ وقد شهد احد اساطين العلوم الجيولوجيّة المأسوف عليهِ المسيو دي لاپاران (M^r de Lapparent) على انقلاب اولئك العلماء عن رأيهم بقوله : « انّهُ من العجب العجاب كيف ارتدّ العلماء الحاليُّون عن مذهب النشوء والتحوُّل بعد ان اصاب عندهم حظوة . فتراهم اليوم يكادون يقرُّون بتكوين الانواع على التتابع وينكرون على دروين تحوُّل الانواع وترقّيها وانّما يجعلون تلك انواع متوازية مهما رقوا في سلّم الدهور » وكذلك ورد في مجلّة الابحاث العلميّة - Revue des Questions Scientifiques, t. XVIII, Janvier) عدّة شواهد من اقوال العلماء

تعلن سقوط المذهب الدروينى كقول الواحد : « ان المذهب الدروينيّ قد مات منذ زمن مديد في اعين العلماء المتنوّرين » . وكقول الآخر : « قد أفلس المذهب الدروينى فلم يُعُدْ يوثق بهِ كمذهب عمومي نظري » ويقول ثالث : لا يمكن اعتبار مذهب دروين البتّة كمذهب علميّ » وهذه الاقوال يتّفق في اعلانها علماء كاثوليك وغير كاثوليك فلولا وقوفهم على بطلان ذلك المذهب لَما صرّحوا بهِ في المجلّات العلميّة

على انّ المذهب الدروينيّ مع خموله وتلاشيهِ قد زرع في قلوب كثيرين وهماً لا يزال يرعى فكرهم وهو مبدأ التحوّل (l'Evolutionisme) الذي لا ينفي وجود الله ولا إبداعهُ تعالى للمخلوقات حيناً بعد حين لكنّهُ يدّعي بإمكان تسلسل الانواع بعضها من بعض وذلك بقوّتها الغريزيّة التي نالوها من فضلهِ تعالى . وبقولهم هذا لا يبخسون الله مجدهُ لأنّهم ينسبون اليهِ اول مثال خلقهُ عزّ وجلّ وخوّل ذلك المثال قوّة محدودة تؤدي بهِ الى انتاج انواع سبق علمهُ بها . فيبقى الله هو العلّة الاولى للنظام الموجود في العالم وعلّة وجود الكائنات وما يطرأ عليها من التنوّعات . فهذا المذهب يختلف عن المذهب الدروينى وقد انحاز اليهِ قوم من العلماء حتّى الكاثوليك والمؤمنين

على انّ الذين عدلوا الى هذا الرأي لم يتّفقوا في تعيين اتّساعهِ وحدودهِ فمنهم مَنْ يحصر ذاك التحوّل في حدود ضيّقة لتوليد بعض الانواع ومنهم من يوسع دائرة نطاقهِ فالاوّلون يقولون بان الله خلق اول حلقة من كلّ جنس فتفرّعت الانواع من الاجناس على مدى الاجيال . والآخرون يزعمون ان الله خلق فقط في اول العالم امثلةً من النبات والحيوان كامثال ذوات الفقرات ومثال الحشرات ومثال النبات ومن هذه الامثلة تألّفت رُتب الكائنات واجناسها وانواعها . وكلّهم مع هذا يستثنون خلقة الانسان الذي يجعلونهُ في رتبةٍ خاصّة مستقلّة عن الحيوانات التي سبقتهُ

هذا الرأي الذي ذاع بين بعض العلماء لم يرضَ بهِ كثيرون غيرهم ولا عجب اذ لا يتجاوز الحدس والتخمين ولا يؤيدهُ شيء من الاكتشافات . لا بل تنفيهِ الادلّة التي سبقنا فدوّنّاها في مقالتنا ولاسيّما ما قلناهُ عن اختلاف اوهام الحشرات وثبوتها العجيب حتّى في الانواع المتقاربة الاشكال كما تُبطلهُ ايضاً اكتشافات علماء الماديّات والجيولوجية حيث وجدوا في اقدم طبقات الارض القريبة من بدء تكوينها اصدافاً

حيوانيّة من النجوميّات الشكل والهلاميّات وذوات المفاصل وبعض ذوات القشرات التي صيرت انواعها منذ ذاك العهد السحيق الى يومنا دون ان يطرأ عليها اختلاف يُذكر ولا تحوّل البتّة. فلو صحّ قول هؤلاء العلماء المتدلين لوجدنا سنداً لقولهم في تحوّلات هذه المبروزات الاوّليّة فثبوت انواعها يردّ مزاعمهم

وعلى كل حال اننا لم نشأ ان نُنهي تماماً ببطلان هذا التحوّل النوعي المحصور في نطاقٍ ضيّق وانما ننتظر وجود ادلّة متقنة توجب برَذْله بتاتاً او بقبول بعض آرائه. فان هذه اقوالٌ علميّة لا دَخل لها في حقائق الايمان التي وحدها تبقى ثابتة الى الأبد لا يستطيع العلم البشري أن يزعزع اساسها المتين وهي مبنيّة على الحقيقة الازليّة التي لا يحجب نورها غمام (تمّ)

ذكرى لوفاة نابوليون الاوّل

لحضرة الخوري بطرس صفير

جرت هذه السنة احتفالات عظيمة في فرنسة تذكاراً للمئة الاولى من وفاة نابوليون الاوّل فكتبت الجرائد فصولاً شائقة أعادت فيها الى الاذهان ذكر ذاك الداهية الذي طبّق اسمهُ المعمور. فرأينا بهذه النسبة ان نروي بتصرُّف قصّة ظريفة قرأناها في المجلّة الفرنسويّة «المطالعات للجميع» تحت عنوان «ببغاء ملك رومية وغليوم امبراطور المانية الحليم»[1]

بعد ما ناصب نابوليون العداء ملوك اوربّة وامراءها وقد اجتمعوا عليه عشرين عاماً وبذلوا على حربه المُهَجات كان أن ظفروا اخيراً به وغلبوهُ على امرهِ واكرهوهُ على عكس ما كانت تطمع اليه نفسه من الفتوحات والغنائم فاقاموه في قصر فونتنبلو وفيه تمّ امر خلعهِ وتخليه عن الملك لابنهِ وتسييره الى جزيرة إلبة محلّ منفاه

(١) اطلب Lectures pour Tous. *Avril*, 1920, *pp* 937